

إن نتبع تطور السياسة الخارجية الأمريكية منذ 1993 من خلال عهدي كل من "بيل كلنتون" و "جورج. و. بوش"، قد بين أنه لشخصية كلا الرئيسين تأثير واضح على السياسة الخارجية، على الأقل فيما يتعلق بجانب الأدوات المتخذة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية خلال المرحلة الجديدة لما بعد الحرب الباردة، فالاختلافات التي توصلنا إليها من خلال المقارنة بين قرارات السياسة الخارجية المتخذة من قبل كلا الرئيسين أوضحت أن لكل رئيس تصوره الخاص للسياسة الخارجية المتخذة. وبعد دراسة البيئات الثلاث التي اتخذت ضمنها قرارات السياسة الخارجية والتي تتعلق بالبيئة الداخلية، الدولية والنفسية الصانع القرار، حاولنا تتبع توجهات السياسة الخارجية لكلا الإدارتين من خلال استراتيجيات الأمن القومي الموضوعة وكذا القرارات المتخذة في الواقع العملي في الساحة الدولية، توصلنا إلى أن هناك اختلاف واضح بين السياسة الخارجية للإدارتين سواء ما تعلّق منها بالإستراتيجيات الموضوعة أو السلوك العلمي، وقد رأينا أن الرئيس "كلينتون" قد كرّس معظم اهتمامه حول قضايا الأمن الداخلية أكبر مما كرّسه لقضايا الأمن الدولية، وأكثر من ذلك، فقد رأى "كلينتون" أن الاهتمام بالسياسة الخارجية سيكون في إطار خدمة المصالح والمتطلبات الداخلية، هذا في حين جعل "بوش" الأخطار والتهديدات التي تطرحها البيئة الدولية في تلك الفترة أولويته الأساسية لخدمة الأمن القومي الأمريكي، حيث مثلت الأجندة الأمنية العنصر الطاغي على أجندته للسياسة الخارجية سواء من خلال استراتيجيات الأمن القومي " 2006/2002 " أو في قراراته للسياسة الخارجية والتي تجلّت في حروب وقائية ضد دول تهدّد أو قد تشكّل تهديدا للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يتعلق البعض منها بالجانب النظري للدراسة والذي يدور حول إسهامات مقتربات صناعة القرار، ودور التفسير النظري لعامل الشخصية والعوامل النفسية عموماً في تفسير سلوك السياسة الخارجية باعتباره أساساً سلوك أشخاص طبيعيين.

هذا إضافة لمجموعة من النتائج العملية تتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية وبالأساس دور وأثر عامل شخصية الرئيسين "كلينتون" و"بوش" في تحديد وتوجيه السياسة الخارجية خلال فترة رئاستهما.

1/ النتائج النظرية

- إن عامل شخصية الرئيس ذو دور هام في التأثير على السياسة الخارجية خصوصاً إذا ما اقترن ذلك مع سلطات واسعة يخول بها الرئيس في ميدان السياسة الخارجية، فيلعب نمط شخصيته المركبة من مجموعة من الحاجات المميزة لشخصيته كالحاجة إلى الانجاز، الحاجة إلى القوة والسيطرة.... دوراً هاماً في تحديد سلوك الأفراد وبالتالي سلوك صناع القرار الخارجي للدول.

- إن الاهتمام بالجوانب النفسية لصناع القرار قد أسدل الستار عن مستوى جديد وبالغ الأهمية في دراسة العلاقات الدولية، وهو مستوى الفرد والجوانب النفسية المتعلقة به، الأمر الذي يعطي الأبعاد المتعلقة بالجوانب النفسية والشخصية للفرد أهمية كبيرة في هذا الإطار، وعلى وجه الخصوص الجوانب المتعلقة بالحاجات الكامنة في النفس الإنسانية والتي تشكل أساس شخصيته وبالتالي سلوكه في تفاعلاته مع الآخرين، مما يتطلب اهتماماً أكبر بموضوع الحاجات المميزة للشخصية واتخاذها كمعايير لفهم وتفسير وحتى التنبؤ بالسلوك الإنساني عموماً وسلوك صناع القرار خصوصاً.

- إن البحث في الجوانب النفسية للفرد هو أمر في بالغ الأهمية من جهة، لكنه بالمقابل يواجه صعوبات عدّة، حيث أن البحث في مجال شخصية الفرد، عقائده، تصوراتهِ وإدراكاته للواقع هو أمر صعب حيث تتداخل جميع هذه الجوانب بطريقة معقّدة يصعب دراستها والتفرقة بينها إذا ما ترجمت إلى سلوك، لكن هذا لا يلغي من أهمية المحاولات الجادة لدراسة هذا الجانب المهم من السياسة الخارجية، حيث عمل الباحثون في هذا الميدان من التحليل وذلك عن طريق طرح مجموعة من المناهج والأدوات التي يمكن استخدامها ليس لحل مشكلة غموض الجوانب النفسية وإنما محاولة للتبسيط والتوصل قدر الإمكان إلى معلومات ذات أكبر نسبة من الصحة. فطرح "ألكسندر جورج" النهج الإجرائي (code operational) كطريقة تحليلية رياضية للخطابات والمنتجات الفكرية للقادة قصد التوصل إلى فهم عقائدهم وتصوراتهم حول الواقع، كما شددت "مارغريت هرمان" على ضرورة دراسة المقابلات الصحفية للقادة كوسيلة لفهم معتقداتهم، ذلك لما تنتجه مثل هذه المواد (المقابلات الصحفية) من آراء وأقوال هؤلاء القادة النابعة من تصورهم الخاص للمواقف مباشرة دون تدخل أي أطراف لتغييرها أو تعديلها.

- رغم تحديد "مارغريت هرمان" للنظم الديكتاتورية على أنها أكثر النظم تأثيراً بشخصية صانع القرار بها، وذلك لما تنتجه من حرية مناورة للرئيس في ظل ضعف الأجهزة المخوّلة بصناعة القرار الخارجي، إلا أنّ دراستنا قد أثبتت أنه حتى في النظم الديمقراطية ذات الأجهزة القوية تلعب شخصية صانع القرار أهمية كبيرة في هذا المجال، الذي يرفع من أهمية متغيّر الفرد حسب تصنيفات "روزنو" في صناعة القرار الخارجي للدول الكبرى ذات النظام السياسي المفتوح.

2- النتائج العملية :

- يتمتع الرئيس الأمريكي بسلطات واسعة في إدارة الشؤون الخارجية، وبذلك يكون دور شخصية الرئيس محدداً بمجال الحرية المتاحة للرئيس عن طريق الثغرات الموجودة دستورياً وقانونياً من حيث غموض المادة الثانية من الدستور، ضخامة الجهاز البيروقراطي للرئيس.... وعوامل أخرى جعلت من الرئيس وخبرته في العمل السياسي وقوة شخصيته عوامل مهمة في هذا الإطار. لكن هذا لا يعني أن للرئيس الحرية المطلقة في اتخاذ القرار، إذ أن سلوكياته وقراراته محدّدة في إطار تفاعله وباقي المؤسسات الفاعلة في النظام السياسي الأمريكي، والذي يقوم أساساً على مبدئين: مبدأ الفصل بين السلطات ومبدأ الرقابة والمسؤولية المتبادلة بينها.

- الأكيد عند دراسة السياسة الخارجية الأمريكية أنه للولايات المتحدة مجموعة من المبادئ الأساسية التي لازمت السياسة الخارجية الأمريكية منذ الاستقلال ووجهت سلوكها الخارجي إلى يومنا هذا. إلا أن دراسة تطور السياسة الخارجية الأمريكية خلال عهدي "كلينتون" و"جورج. و. بوش" قد أثبتت أنه لشخصية الرئيس والجوانب النفسية عموماً لمستنها الخاصة في هذا المجال حيث تعمل على تحديد الأدوات التي من خلالها تعبر الولايات المتحدة عن هذه المبادئ، ففي حين فضل "كلينتون" الأدوات الدبلوماسية والقوة اللينة عموماً في إدارته للسياسة الخارجية، هذا مع الاستخدام المحدود للقوة العسكرية، فضل جورج. و. بوش وإدارته الاعتماد عموماً على القوة العسكرية كوسيلة أساسية للقضاء على المخاطر في البيئة الدولية الجديدة في إطار مفهوم الحرب الوقائية.

- لشخصية "كلينتون" تأثير واضح في السياسة الخارجية خلال عهده، ذلك من خلال أسلوبه القيادي الميّل للحلول الوسط التي تنال رضا معظم الأطراف، حيث تجلّى ذلك في اعتماده على المفاوضات، الاتفاقيات الدولية وميله نحو العمل المشترك تحت المظلة الدولية ورعاية المؤسسات الدولية المشتركة

كالأمم المتحدة وحلف الناتو. هذا الاختيار بالنسبة لـ "كلينتون" يجد جذوره في الحاجة إلى الانتماء التي تبدو واضحة في شخصيته منذ بداياته في العمل السياسي . وصحيح أنّ الأوضاع الداخلية المتدهورة خلال بداية رئاسته خصوصا اقتصاديا إلى جانب توجّهات الحزب الديمقراطي التي تفرض الاهتمام بالجوانب الاقتصادية داخليا وخارجيا، إلا أنه لشخصية "كلينتون" دور في تحديد سياسته الخارجية خاصة ما تعلّق منها بالأدوات كما سبق الذكر.

- نفس الأمر ينطبق على السياسة الخارجية لإدارة "جورج و. بوش" ، حيث لا يمكن إنكار دور كل من المحافظين الجدد الذين تتطابق توجهاتهم وتوجهات الإدارة الحالية ، الأمر الذي يدل على التأثير الكبير الذي يتمتع به هذا التيار، على خلاف ما لاقاه من تهميش خلال إدارة "كلينتون"، هذا إلى جانب ما منحه أحداث 11 سبتمبر من حجج داخلية وخارجية أحدثت تحولا كبيرا في السياسة الخارجية الأمريكية. لعلّه من الصعب الجزم هنا حول مدى تأثير شخصية الرئيس "بوش" مقابل العوامل السالفة الذكر، إلا أن الأكيد من خلال دراسة شخصية "بوش" الميلّة للإنجاز من جهة واستخدام القوة والميل للسيطرة من جهة ثانية أنها تتماشى إلى حد بعيد مع توجهات إدارته في السياسة الخارجية.

وما يمكن إضافته في الأخير، أنّ أثر شخصية الرئيس "كلينتون وبوش" واضح من خلال قراراتهما في السياسة الخارجية والتي حاولنا اختبارها من خلال إسهامات مختصين في هذا المجال (مجال التحليل النفسي وتحليل السلوك السياسي)، عن طريق أهم المميزات الشخصية عند كل رئيس، أين أثبتت أن شخصية الرئيس مثلت عاملا مهما في سياستهما الخارجية، لكنها لم تكن الحاسم، ذلك نظرا إلى تأثير عوامل أخرى تتعلّق بالبيئتين الداخلية والدولية. حيث يصبح دور متغيّر الفرد ذو أهمية متفاوتة من فرد لأخر، ودولة لأخرى، الأمر الذي يشجّع على ضرورة البحث أكثر في هذا الميدان من أجل التوصل إلى نتائج أكبر قدرة على التعميم.